الشعر والفلسفة

عند رالف بارتون بيري

هبة مصطفي محمد حسانين*

mainietzsche@gmail.com

ملخص

تهتم الفلسفة بجوانب متعددة من الحياة بشكل عام ، ولكن تبرز مهمتها في النقد بشكل خاص سواء من خلال وجهة نظر صاحبها ، أو من خلال عرض وجهات نظر أخري تعبر عن رأي صاحبها من زاوية معينة سواء كانت مؤيدة أو ناقدة . والنقد الذي سوف يتناوله بحثنا هنا ليس نقداً معرفياً أي نقداً لقدرة الإنسان علي المعرفة للحقيقة ، وليس نقداً جمالياً يقيّم أعمالاً فنية أو غير ذلك من دروب النقد المختلفة ، ولكنه نقد للإهتمامات الإنسانية علي إختلافها ، ولأن الفلسفة تقوم بذلك فلا يفوتها أو لا يفوت المشتغلون بها أن يقفوا علي أحد أهم الإهتمامات الإنسانية وهو " الشعر" بإعتباره يقدم صورة مميزة له عن العالم والحقيقة .

ولقد اخترنا في هذا السياق رأي فيلسوف إهتم بالقيمة ، رغم ميوله البرجماتية العلمية وهو " رالف بارتون بيري " فإذا به يضيف إلي هذه الاهتمامات إهتماماً ثالثاً هو العلاقة بين الشعر والفلسفة في صورة جدلية تربط بين عمل الفيلسوف وعمل الشاعر من وجهة نظر "بيري" .

الكلمات المفتاحية :الشعر ، الفلسفة ، الشاعر الفيلسوف ، الفيلسوف الشاعر ، الشاعر الفيلسوف والفيلسوف الصرف ، الإهتمامات الإنسانية ، النقد الأقصي ، الإنسجام .

* مدرس بقسم الفسفة- كلية الآداب - جامعة السويس

من أكثر الفلاسفة المعاصرين إهتماماً بالقيمة الفيلسوف الأمريكي المعاصر "رالف بارتون بيري R.B. Perry" (١٨٧٦ –١٩٥٧)[*] الذي أضاف بالتالي إلي الإهتمام بمستوي ما ينبغي أن يكون إهتمامه كفليسوف برجماتي بمستوي ماهو كائن . من هنا كان اختيارنا لعمل من أعماله يُعد من بواكيرها ألا وهو " الشعر والفلسفة".

ليبرز مهمة الفلسفة وهي "النقد" ولأنه ليس نقداً معرفياً ؛ أي نقداً لقدرة الانسان علي المعرفة للحقيقة وليس نقداً جمالياً يقيم اعمالاً فنية أو غير ذلك من دروب النقد المختلفة ، ولكنه نقد للإهتمامات الانسانية علي إختلافها، ولأن الفلسفة تقوم بذلك فلا يفوتها ولا يفوت المشتغلون بها أن يقفوا علي أحد أهم الاهتمامات الانسانية وهو "الشعر" بإعتباره يقدم صوررة مميزة له عن العالم والحقيقة .

الهدف من الدراسة :

يكمن الهدف من البحث في التأكيد علي فكرة العلاقة بين الشعر والفلسفة من ناحية . والأدب والفلسفة من ناحية اخري؛ فالبحث في العلاقة بين الشعر

---

[*] رالف بارتون بيري: هو مؤلف وفيلسوف وأستاذ جامعي أمريكي ، وكان عضواً في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ، حصل علي جائزة " بوليتزر" عن فئة السيرة الذاتية . أنظر: (https://ar.wikipedia.org/wiki/ رالف بيري 14/2/2021) . ويعد هذا العمل من بواكير أعمال بيري حيث كتبه في وقت سابق من أعماله التي أشتهر بها وعلي رأسها بطبيعة الحال " آفاق القيمة " ، الذي نشر عام ١٩٥٤ وجاء تتويجاً لفترة طويلة من الدراسات في نظرية القيمة ، ولذلك فهذا المقال يعد بمثابة إرهاصة مبكرة علي اتجاه فكر بيري بشكل عام .

والفلسفة هو أحد الموضوعات التي تنتمي للفلسفة الحديثة والمعاصرة في علم الجمال أو ، بمعني أدق، علاقة الصور الشعرية بالصور الفلسفية .

اشكالية الدراسة :

تكمن اشكالية الدراسة في محاولة البحث الوقوف علي العلاقة بين مجالين يبدوان مختلفين في نظرتهما للعالم والحقيقة أحدهما يقوم علي العقل بكل امكانياته وحدوده ، والآخر يعتمد علي الخيال الانساني وانطلاقاته الروحية. فكيف يمكن النظر في جدلية تلك العلاقة في هذين المجالين ؟ وهل يكون تعبير "بيري" (الاهتمامات العامة أو المشتركة) هو كلمة السر هنا لفهم تلك العلاقة؟ وهل للفكرة جذور يونانية قديمة أم الفكرة حديثة ومعاصرة في علم الجمال ؟

أما عن تساؤلات الدراسة ، فيمكن عرضها علي النحو التالي :

إلي أي مدي إقترب الشعر من الفلسفة ، واقتربت الفلسفة من الشعر ؟ وهل التعارض بل والجدل الحادث بينهما ينتهي ، في نظر بيري ، الي نوع من الانسجام ؟ وهل استطاع ان يتجاوز الاختلاف بينهما الي إهتمام أعلي واسمي يجمع بين العاطفه والعقل ؟ و إذا ما تحقق هذا الجمع فإلي أي مدي يكون بيري قد نجح في الوصول الي قيمة أعلي لا تقتصر علي عالم العاطفة والشعور فقط وعالم التأمل العقلي فقط ؟

وفيما يتعلق بالمنهج المستخدم في تلك الدراسة، فهو المنهج التاريخي التحليلي المقارن النقدي .

تاريخي: حيث الوقوف علي الاصول التاريخية للعلاقة بين الشعر والفلسفة.

تحليلي: حيث تحليل النصوص الفلسفية لمختلف الاراء التي قيلت حول العلاقة الجدلية بين الشعر والفلسفة.

مقارن: حيث الوقوف علي اوجه الاختلاف القائمة حول الشعر والفلسفة .

نقدي: حيث بيان وجهة نظر الباحثة كلما اقتضي الأمر ذلك .

أما عن أهم الدراسات العربية السابقة التي ناقشت تلك العلاقة الجدلية عند بيري ، فيمكن الاشارة اليها –علي سبيل المثال لا الحصر–علي النحو التالي :

أ- أحمد عبد الحليم عطية: نحو نظرية كونية في القيم (قراءة في "مفهوم الخير الاخلاقي" عند بيري)، مجلة الاستغراب ، العدد الرابع، ٢٠١٦ . وتتناول الدراسة القيم كمحور اساسي في حياة الانسان المعاصر،كما يقدم المفكر المصري الدكتور أحمد عطية رؤية ابستمولوجية للقيم ، محاولاً الاجابة علي إمكان بلورة نظرية معرفية علي نطاق إنساني شامل حول القيم الحديثة وأخلاقياتها.

ب- أحمد عبد الحليم عطية : القيم في الواقعية الجديدة ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ٢٠١٣ . وتدور الدراسة حول ظهور الواقعية الجديدة في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩١٠ كفلسفة مناهضة للمثالية السائدة التي كان يدافع عنها جوزيا رويس، ومتجاوزة البرجماتية لدي أحد أهم فرسانها وليم جيمس، مقتدية بنهج العلماء في العمل الجماعي متخذة التعددية غاية ميتافزيقية والتحليل منهجاً علمياً، أضف الي ذلك اسهامات اصحابها في مجال الابستمولوجيا ، فقد كان اكبر اسهام مؤسسها، رالف بارتون بيري، في مجال القيم والنظرية الاجتماعية، الذي ظهر جلياً في كتابيه : النظرية العامة للقيمة، وآفاق القيمة، حيث سعي الي تقديم نظرية توافقية للخير والسعادة.

ت- منيرة محمد عبد العزيز: مفهوم القيمة عند رالف بارتون بيري وجون ديوي، رسالة ماجستير تحت اشراف د. محمد عزيز نظمي كلية الاداب- بنها ،١٩٩٧. وتدور الدراسة فيها حول مفهوم القيمة عند كل من بيري وديوي والهدف هو اظهار الاتجاه القيمي في الفلسفة البرجماتية حيث أن الهدف من النظرة الي الاتجاة البرجماتي نظرة اتهام موجه اليهم حيث يقوم بإيثار العمل علي النظر، وايضاً بإتهامه بأنه ليس لديه القدرة علي تقديم منهج يستوعب القيم جميعاً، ومن خلال الدراسة اتضح أن الفلسفة البرجماتية لا تسلم بالأمر الواقع ولكنها تتطلع دائماً الي المستقبل من خلال ممارسة الانسان لفاعلية الوصول الي المستقبل وأن بيري وديوي هما المعبران الحقيقيان لتوضيح القيمة لهذا العصر.

أولا : مهمة الفيلسوف ومهمة الشاعر :

يبدأ بيري مقاله بشرح لطبيعة الفلسفة وكيف أنها ، في نظره ، هي النقد الأعلي للإهتمامات الإنسانية – كما تعرِض لها النشاطات الإنسانية علي اختلافها ؛ لذلك يقول :

" إن الفلسفة ، بإعتبارها النقد الأقصي Ultimate لكل الإهتمامات الإنسانية ، ربما يمكن الوصول إليها عن طريق دروب متعددة مثل الإهتمامات ذاتها " (١)

وبداية فإن بيري يقصد بمقولته تلك أن الفلسفة لا تسكن برجاً عاجياً بعيداً عن الإهتمامات الإنسانية الفعلية، وإنها وإن إهتمت بفحص النشاطات الإنسانية إلا أن ذلك لا يبعدها عن مجريات الحياة . والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : كيف يمكن أن تكون الفلسفة بهذا المعني فحصاً ونقداً لنشاط مثل الشعر يُبرز

الإهتمامات الإنسانية ويعبر عنها ؟ ولعل من أهم ملامح تلك العلاقة بين الفلسفة والشعر أن الشعر ، في نظر بيري ، هو من يقوم بتفسير معني الحياة ؛ ذلك "أن أكثر ما يميز الشعر بطريقة جيدة ... هو النظر إليه بوصفه تفسيراً للحياة."(٢)

إذن المسألة هنا لا تتعلق بناحية جمالية فنية في الشعر أو صورة تُريح إلانسان المكدود الذي يعاني في الحياة ، وإنما هي تبرير قيمي له بأن له غرض وهدف إن لم يصبه لم تكن له قيمة . فالمعني والهدف والقيمة وغيرهما مما يمكن أن يُحصِّله الإنسان فلسفياً وعن تعمد يطرحه الشعر بطريقه تلقائية وعملية تعبر عن الحياة المباشرة ؛ ولهذا فدور الفلسفة هو البحث في هذا التفسير الشعري المباشر للحياة .

إن الفيلسوف يستخرج من الشاعر الوعي الهادف والسعي إلي الغايات – كما يمكننا أن نري ذلك في التراث الأبوللوني والديونيسي في الأدب الإغريقي القديم حيث العنصر الأبوللوني يرمز إلي العقلانية والتنبؤ والتروي في الأمور ، في حين يرمز العنصر الديونيسي إلي العاطفة المشبوبة والإندفاع الشعوري(*) – وإن كان هذا العمل من جانب الفيلسوف

(*) ديونيسي Dionysos: هو إبن " زيوس " من " سيميلية " أو باكخوس إبن سيميلية _ " ديثرامبوس " أي المولود مرتين _ أتقن فنون الزراعة ، وخاصة الكروم وتقطير النبيذ مما جعله ألهاً للخمر و إخصاب الطبيعة ، وقد حقدت علية هيرا (الأرض وزوجة زيوس الشرعية) فلم تتركه يستقر في بلد واحد ، لذلك أمضي سنوات صباه يطوف بلاد العالم ، وكان يرافقه أثناء تجواله سيلينوس وتتبعه حاشية من الماينياديس ومعربدي الساتير ، وكان ديونيسيوس شديد المرح واللهو والضحك وقد ربط المؤمنون به بين أسمه وبين البعث بعد

فيما يشير بيري – يتطلب جهداً كي ينتقي ذلك من مجال أوسع هو الخبرة والوعي الإنسانيين بإعتبارهما قيمتين تُنشدان في ذاتيهما بل ولهما ألاحقية في أن تُنشدان أي يجب أن يسعي إليهما الفيلسوف سعياً.

والسؤال الأن : كيف يمكن إنتقاء المفاهيم الفلسفية من بحر الشعر ؟ وكيف للفيلسوف أن ينجو؟ إن للشعر أدبياته وأدواته الخاصة ، فهو ينظر للأشياء من زاوية أنها جميلة أو قبيحة ، فيُنحي بذلك النظرة العلمية للطبيعة جانباً حتي وإن كان يقوم بملاحظتها ؛ فهو يقوم بملاحظة الطبيعة من أجل غرض أسمي في نظره وهو لا يكتفي بذلك فقط بل إنه يقدر ما هو جميل له بإعتباره يمثل الحقيقة ثم يسعي لإقناع المنصتين له بذلك ؛ لذا نجد بيري يعرض لعمل الشاعر علي هذا النحو قائلا :

"إن كل الأشياء بالنسبة للشاعر إما حسنة أو سيئة وليست ابداً مجرد مواد للواقع ... فهو ليس محللاً أو خبيراً إحصائياً ، بل إنه مُلاحِظ فقط من أجل الوصول إلي أعلي تصميم (للطبيعة). ... إنه يُقدِّر (الأشياء)، ويعبر عن ذلك التقدير بشكل ملائم فيصير ذلك التقدير نوعاً من الحقيقة ، وموضوعاً قابلاً بشكل دائم للتواصل."(٣)

الموت فكانوا يقيمون له المهرجانات الديونيسية التي كانت تضج بالمرح والعربدة والسكر والموسيقي والرقص والغناء . في حين أن ابوللو Apollo: وهو أبن زيوس من "لاتو " وكان أبوللو " فويبوس "إلهاً للفن والشعر والموسيقي ، وراعياً للماشية ورسول أبيه للآلهة والبشر ، ويعد رباً للشمس والضوء . انظر : (ثروت عكاشة : الإغريق بين الأسطورة والإبداع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ص ٩٢–١٠٠.

وانطلاقاً من المعطيات (القيم) الحسية التي تُمنح من الطبيعة أو المقترحة منها ، والتي يحوز عليها الشاعر من خلال شعوره السريع بالجمال فيدفعه ذلك إلي الإعلاء من قيمتها عن طريق نشاطه الإبداعي ، فإن تعاطفه الحاضر بالأضافة إلي ذلك يكون دافعاً له لأن يدرك قيمة بعض النماذج الإنسانية حيث السيطرة علي العواطف بشكل يجعل من تلك القيم سواء حصل عليها بشعوره أو بعواطفه حقيقة لشعورنا العام.(٤)

وهو ما يدخل في حوزة الإهتمام بالنسبة لبيري "فالإهتمام ينتمي الي جانب الشعور أو العاطفة في التقييم الكبير لحياتنا العقلية. "(٥)

فالإنسان الهمجي أو البربري **Barbarian**_ كما يستشهد بيري بنص " لجورج سنتيانا Santayana _ G " (١٨٦٣-١٩٥٢) في كتابه " تفسير الشعر والدين " "هو ذلك الإنسان الذي يعتبر عواطفه مبرراً له في وجوده ، إنه ذلك المرء الذي لا يُروض تلك العواطف سواء بفهمه لسببها أو بإدراكه لهدفها المثإلي."(٦) . وبرجوعنا إلي مؤلَّف سنتيانا نفسه فإننا نجد أنه يقول أيضاً عن ذلك الإنسان البربري:

"إنه ذلك الانسان الذي لا يعرف (مصادره) ، ولا يُدرك إتجاهاته ولكنه فقط ذلك الانسان الذي يشعر ، ويفعل ، ويقدر في حياته قوتها وعنفها فحسب ، فلا يبالي بغرضها (أي الحياة) ولا شكلها . فسعادته تتركز في كثافة فنه وعنفه تماماً مثل حياته مبيناً بذلك إحترامه الخاص ... لروعة مواده (معطياته) . فإزدراؤه يكون لما هو أفقر وأضعف من ذاته ، والذي يتجاوزه بتجاهله لما هو أعلي منها (أي ذاته). "(٧)

وعلي ذلك فإنه يتضح من حديث بيري أن ثمة تفرقة بين ما يكتسبه الفنان من قيمة جمالية ، وما يحوزه من حقيقة علي أي نحو كان ، وبين ما يطلق عليه بيري تعبير "الحقيقة الفلسفية " ولكن ما هو الفارق ؟ وكيف يعبر الشعر عن تلك الحقيقة الفلسفية ؟

إن الشاعر لا يُعيد إنتاج الطبيعة بل إنه يعبر عن الخبرة الإنسانية المُقدِرة للطبيعة ، ورغم ذلك فإن عليه(أي الشاعر) أن يكون صادقاً وهو يتناول موضوعه ؛ ففن الشاعر "يتضمن قدرته علي التعبير بشكل عبقري ومخلص لما يعرفه بنفسه في حضور الطبيعة ، أو ما يمكنه أن يتحصل عليه من الحيوات الباطنية للآخرين ، وكل ذلك بمقتضي تعاطفه الذكي".[٨] ولكن ماذا عن العقل ؟ ونعود إلي ما استهل به بيري مقاله عن تعريف الفلسفة حيث قال: "إن الفلسفة ، بإعتبارها النقد الأقصي لكل الإهتمامات الإنسانية ، ربما يمكن الوصول إليها عن طريق دروب متعددة مثل الإهتمامات ذاتها." [٩]

وهنا يمكننا التوقف عند كلمتين في هذا التعريف وهما : النقد والإهتمام أما بخصوص الكلمة الأولي وهي النقد يكون السؤال الذي يطرح نفسه : ما معني تعريف الفلسفة بأنها نقد ؟ هل معني هذا أن دورها يقتصر علي النقد كأداة ، أم أن الطريق إليها هو النقد ، أم النتيجة منها تكون هي الفلسفة النقدية ؟ والإجابة عن هذا السؤال . أن النقد في ، نظر بيري هو، في حقيقة أمره ، غاية الإهتمامات الإنسانية ووسيلة ؛ لأن الفلسفة في حقيقتها إهتمام وتلك هي الكلمة الثانية التي نقف عندها في هذة العبارة . فالنقد هو الاهتمام المثالي للفلسفة بحيث تكون الإهتمامات الأخري للإنسان طرقاً أو دروباً تؤدي إليه .

ولذلك فإن السؤال المُلِح أيضا هو: ما هي الإجراءات الفلسفية ، إن صح التعبير، التي يتخذها الفيلسوف لفحص وتأمل مجال كالشعر يُعرّف مسبقاً أنه يعبر عن الإهتمامات الفعلية والمستمرة للإنسان ؟ وبصيغة أخري أكثر دقة للسؤال ذاته : من أية زاوية تفحص الفلسفة الشعر؟ وإلي أي مدي يصل هذا الفحص ؟

وهذان السؤالان الأخيران يمثلان إشكإلية هذا البحث بينما تكون الإجابة عنهما مبرراً للتراكيب الجدلية التي استخدمها بيري وهي تحديداً :

أ – الشاعر الفيلسوف .

ب – الفيلسوف الشاعر .

جـ – الفيلسوف الشاعر والفيلسوف الصرف.

أ – الشاعر الفيلسوف :

إن فحص العناصر العقلية في الشعر يتيح النظر إليه بإعتباره شاهداً علي الحقيقة الفلسفية أو معبراً عنها ؛ فعلي الشاعر العبقري المدقق ، فيما يري بيري ، أن يقترح في تمثلاته جانباً فكرياً لا مفر منه.[١٠] فالفنان بشكل عام والشاعر بشكل خاص ليسا بحاجة إلي أن يشرحا أو يعرّفا شيئاً لأن دورهما يكمن في نقل " كيفيات مباشرة للخبرة"[١١] ، وليس مجرد محاكاة "فالفن القائم علي المحاكاة بعيد كل البعد عن الحقيقة."[١٢] لذلك يجب عليه أن يتحدث عن الحقيقة ، وكي يتحدث عنها يجب أن يعرفها أولاً. ولكن هل يستطيع الشاعر أن يستوعب أجزاء كثيرة أو كلاً موحداً منها كما هو عند الفيلسوف ؟

يقول أفلاطون في الكتاب العاشر من محاورة " الجمهورية " : " إذا كان يستطيع (أي الفن) أن يتناول كل شيء ، فما ذلك علي ما يبدو ، إلا لأنه لا يلمس إلا جزءاً صغيراً من كل شيء. وهذا الجزء ليس إلا شبحاً."(١٣)

فالتناول الشعري بذلك يركز علي أجزاء بعينها ، والشاعر في تلك الحالة ليس مطالباً بأكثر من ذلك. أما التناول الفلسفي لها فهو الجمع بين العناصر والسعي إلي إيجاد تأليف بينها أو الوصول إلي وئام بينها، فالفلسفة تهتم بالكل، بينما الشعر، وفقاً لهذا الوصف ، يهتم بالجزء . وعن ذلك يقول بيري أيضاً :

"لا يمكن أن نطلب من الشاعر أن يتحدث عن أكثر من شيء في وقت واحد . ذلك أن صدق التعبير أو الإخلاص فيه لا يتطلب نمطاً مميزاً من الرؤية الشاملة ، فمن السهل بل ومن المعتاد أكثر ، تبعاً لذلك ، أن ينظر الشاعر إلي اللحظات والوحدات السببية في الخبرة أكثر من النظر في كليتها".(١٤)

وبالتإلي فإن الأمر لا يقف عند عقلية شعرية تتعامل مع الحقيقة فحسب بل إن ثمة فارق بين عقلية شائعة لأغلب الشعراء وبين عقلية فلسفية لبعض منهم . لذلك فإنطلاقاً من هذه التفرقة بين عقلية فلسفية للشاعر وأخري غير فلسفية له يعرض بيري مجموعة من الآراء لفلاسفة وشعراء حول هذا الموضوع .

ويبدأ بيري مع "وايتمان (1819–1892) W.Whitman "(*) الذي يري " أن عالم الشاعر هو عبارة عن وحدة صغيرة ، وأنه مُشكّل من خبرة حسية

(*) والت وايتمان Walt Whiteman : هو أحد أهم شعراء أمريكا وأكثرهم تأثيراً في القرن التاسع عشر ، تخلي في أشعاره عن الشكل الجمإلي العادي للشعر ، وهو صاحب المجموعة الشعرية التي شكلت أحد العلامات الفارقة في الأدب الأمريكي . من مؤلفاته : ديوان أوراق

صرفة."[١٥] وعلي الرغم من مدح بيري " لوايتمان " إلا أنه يري أن ما ذكره هذا الأخير هو من قبيل الأمانة وليس من قبيل الفهم ، فما تحدث عنه هو ، في نظره ، "لا يؤسس كوناً".[١٦]

فشعر وايتمان طبقاً لذلك – كما تشير " إندرناث " – هو شعر "الرؤية" الذي يتطلب من "الراغب" "التصور الحدسي " من أجل أن يُدرَك بدلاً من إدراك لطبيعة تجربته الشعرية . فهو يعتقد في "الحدس الإلهي الذي يحرك المخلوقات كلها."[١٧]

و"إندرناث " تتفق هنا مع بيرى فى أن وايتمان ليس له رؤية كلية شاملة بل إن نظرته تعتمد على الفردية ذاكرة قولاً لوايتمان مفاده : " فى الواقع ... إن العزلة الفردية تكمن بشكل إيجابى فى روحانية الدين ." [١٨] أما الفلسفة، وهى الغرض الذى يسعى بيرى منذ البداية لإثبات وجوده معبراً عنه من خلال الشعر، فإن وايتمان وغيره من الشعراء لم يصلوا إليه، وعن هؤلاء يقول بيرى :" إن الحقيقة التى حازوها هى رؤية واضحة لشيء واحد أو لمجموعة محدودة من الأشياء و ليست رؤية شاملة وممتدة".[١٩] لذلك كان وايتمان ممثلاً لطبيعة الشعر في حد ذاته وفي الوقت نفسة.

وننتقل إلي شخصية أخري يذكرها بيري وهي "ويليام شكسبير" (1616– 1564) William Shakespeare التي نبدأ الحديث عنها هنا بقول يذكره "

العشب ، آفاق الديموقراطية : دراسة تحليلية جسد فيها فلسفته. أنظر: (https://en.wikipedia.org/wiki/Walt_Whitman)

كورليس لامونت C.Lamont (١٩٠٢-١٩٩٥) "[**] في مقاله " فلسفة الإنسانية" ل " جورج سنتيانا " يقول هذا الأخير عن شكسبير :

" إن أعظم شاعر لإنجلترا إختار أن يترك أبطاله ونفسه في حضور الحياة والموت دون فلسفة أخري غير تلك التي يمكن للعالم ... أن يقترحها ويفهمها، وهي نوع من الإنسانية."[٢٠] ومثال ذلك شخصية هاملت . تلك الشخصية التي عبرت عن حقيقة واسعه لمست مشكلات الحياة ، إلا أنه ، من ناحية أخري ، عبر عن نوع غريب وغير مالوف من الطبيعه البشرية. علاوة علي ذلك أن شكسبير لم تكن لدية أجابة عن الازمة التي وقع فيها هاملت[٢١] . يقول بيري :

"أن شكسبير لم يضع بناءاً للحياة ... وأن غياب الفلسفه لديه ... وحضور أعلي صفة مميزة لعبقريته هما الإثنان يؤكدان شيئاً واحداً ألا وهو أنه لم يكن لدي شكسبير وجهة نظر."[٢٢]

وهذا مما دفع بيري لإجراء مقارنة بين وايتمان وشكسبير ذلك أنه رغم الاختلاف بينهما إلا إنهما يشتركان في أمور عدة: فإلاثنان لم يتحدثا عن بناء موحد للحياة الإنسانية أو بيئاتها، ولم يكن لديهما كشاعران أية رؤية شاملة ، وهذا يعني، في رأي بيري، أن الإثنين ليسا بفيلسوفين شاعرين.[٢٣]

[**] كورليس لامونت : فليسوف أمريكي إشتراكي ومدافع عن مختلف أسباب الحريات إليسارية والمدنية ، كان رئيساً للمجلس الوطني للصداقة الامريكية السوفيتية . أنظر: https://ar.m.wikipedia.org/wiki/Carless-lamont.

14-2-2021

فرغم أن شكسبير قدم الحكمة وكان فهمه ثرياً وفعالاً إلا أنه من ناحية أخري "لم يحز تصوراً موحداً لمعني الحياة الإنسانية أو علاقاتها الواسعة".(٢٤) وبالتإلي لم يقدم نسقاً كلياً ."لأنه ليس هناك كلية بدون فلسفة." (٢٥) وكذلك فإنه وإن تحدث عن الطبيعة الإنسانية بشكل عام دون الوقوف عند جزئيات أو فروق فردية إلا أن هذا لم يشفع له عند بيري في أن يكون فليسوفاً بالمعني التقني."فالخبرة الإنسانية في شكسبير هي الخبرة – كما يشعر بها كل فرد بإعتبارها شاملة لمجموع الكائنات الحية التي لا تحصي، إلا أن الخبرة الإنسانية في الفلسفة هي الخبرة بالكل بإعتبارها فكراً لعقل مؤلِّف".(٢٦)

فثراء الحياة – كما صوره شكسبير – يفيد فقط في بللورة مشكلة الفيلسوف وتحدي قواه. "فهو سوف يجد المادة هنا وليس النتائج ؛ أي سيجد الكثير (أي شكسبير) كي يتفلسف حوله ، ولكن ليس هناك فلسفة".(٢٧)

ب– الفيلسوف الشاعر :

إذن فالفيلسوف الشاعر مثله مثل أي شاعر يقدر الخبرات الإنسانية ، ويري الأشياء جميلة ، ويؤسس منظومة القيم، إلا أنه فوق كل ذلك يؤسس نسقاً موحداً يشتمل علي ما هو متجانس ويوحد بينه ، ومن خلال هذا الكل الذي يؤسسه يمكنه أن يتحصل علي الحقيقة التي تحكم بدورها علي قيمه الداخلية .

بإختصار فإن الفيلسوف الشاعر هو الذي يجمع بين العاطفة والعقل الموحِّد ، ويجمع أيضاً بين القيم الداخلية والشكل المنسجم " فالإنسجام يعزز الاإهتمامات "(٢٨) ، فإذا توافرت هاتان الصفتان في أي شخص فإنه يجمع، في تلك الحالة، بين الفلسفة والشعر، ذلك أن تلك الشخصية لا تتحدث عن طبيعة بشرية فقط – كما هو الحال عند شكسبير – أو عن مشاعر إنسانية فحسب –

كما هو عند وايتمان – بل تتجاوز هذا وذاك إلي ما هو أبعد ، بأن تحتكم إلي منظور كلي للأشياء تنسجم من خلالها ، وبها تفسر كل القيم الباطنية .

وانطلاقاً مما سبق فإن بيري يري في "عمر الخيام Omar Khayyam" (١٠٤٨ –١١٣١) نموذجاً للفليسوف الشاعر مبرراً هذا الإختيار بأن نظرته للكون كانت مناقضة تماماً لما يدركه أغلب الشعراء عن الكون ، يقول بيري عن ذلك :

"نحن مدعوون لأن نشغل أنفسنا فقط بما هو روحاني ... لأن الكون الذي نعرفه مفلس روحياً . وكذلك فإن تلبية المشاعر المباشرة هي فقط المشاعر التي يمكن أن يضمنها العالم".(٢٩)

فما استحضار الخمر في روائع الخيام الشعرية الإ رغبتة في تجاوز الحواس وتغييبها وفسح المجال للفكر أو الذهن كي يصوغ مفاهيمه ومقولاته النظرية بحثاً عن الحقيقة المطلقة والمعرفة اليقينية.(٣٠)

وعمر الخيام بهذا المعني فيلسوف شاعر"لأن سعادته المباشرة ... هي جزء من وعيه ... فالشاعر في عالمه (أي في رؤيته الشاملة للعالم) يري بطريقة عامة شيء أكثر من الظلمة . ومشروعه الروحي الفطري نفسه ذلك الذي يحفظ الإيمان الديني هو الذي يقود الشاعر بشكل أكبر إلي أن يجد الكون متجانساً مع مُثله ومع المُثل بشكل عام . ذلك أنه (أي عمر الخيام) يفسر الخبرة الإنسانية في ضوء من روحانية العالم كله".(٣١) مثله مثل رجل الدين الذي يحاول فهم الكون في وحدة واحدة وكل متصل . وأن يصل مابين نفسه وبين هذا الكل الشامل. (٣٢) فتكون القيمة هنا هي "حالة الذات ".(٣٣)

وفي هذا الإطار فإن الإرادة البشرية الحرة تخضع إلي الإرادة الإلهية "فحياة المرء تبدأ بالضرورة خارج قدرة المرء علي التحكم وتبدأ من تلك النقطة فصاعداً بالحياة التي تحددها إرادة الله".(٣٤) ولكن إذا كان الأمر كذلك، فإن الله هو المسئول ايضاً عن الشر في العالم، ولكي يكون مستحقاً للعبادة يجب أن يكون كل الخير . هنا تكون وجهة نظر الخيام "بأن الشر يظهر عندما يتم تجاهل توجيهات الله . وعندما يقاوم المرء ما هو محدد إلهياً".(٣٥)

وعلي ذلك فإن من الملاحظ أن بيري يُدخل عاملين أساسيين في الحديث عن الدلالة الفلسفية بشكل عام وهما (الروح – الدين) وكأن الروح تلك التي توحد بين أجزاء الجسم البشري أو الكائن الحي بكليته ، والدين هو الذي يزرع القيم في الداخل الإنساني ، والإثنان يمثلان معاً خطوة أساسية للحديث عن الفلسفة التي تقوم ، وفقاً لهذه النظرة ، علي ما هو موحَد متجانس يشتمل علي جانب أعلي فلا يركز علي قيم جزئية أو مشاعر متفرقة مثل الشاعر الفيلسوف (وايتمان – شكسبير) اللذين لمسا بعض الحقيقة الجزئية دون إدخالها في نسق كلي ، وبالتإلي لم تكن لديهما رؤية شاملة ليكونا فلاسفة ، وإنما توافر ذلك عند الفيلسوف الشاعر(عمر الخيام) . يقول بيري :

" إن محايثة immanence القلب الكلي تنتج لا من خلال أي تعقل مباشر ، بل من خلال خبرة مباشرة بخاصيته ، وتصوره لما هو أسمي في الوجود (الحياة) ، أي ألاعلي والأفضل الذي بإمكان الحياة أن تتعقله".(٣٦)

هنا يشير بيري إلي أن الروح العابدة والهادئة الفائزة عن طريق تهذيب المشاعر الملائمة للحضور في الطبيعة والمجتمع هي العلامة علي الحياة

المكتملة ، وبالتالي فإن معني الحياة بهذا الشكل ليس منفصلاً عن معني الكون.(٣٧)

ويستكمل بيري توضيح فكرته بذكر لنموذج آخر للفليسوف الشاعر وهو "دانتي Dante Alighieri "(١٢٦٥ – ١٣٢١) صاحب الكوميديا الإلهية ذاكراً ما وصف به " دانتي " نفسه بأنه يتطلع إلي الأرض من علياء السماء. فمجال القيم عنده – كما يشير بيري – هو الذي ينطلق من تلك السماء ، وكذلك فإن تقواه ، وشجاعته ، وكراهيته الشديدة للخطأ كل هذا ليس عرضاً أو نتيجة لإنفعالات أو ردود فعل عمياء بل هو ما يشكل الشخصية الملائمة لإنسان "يري العالم انطلاقاً من الإله ، ثم يعود ليري الإله انطلاقاً من العالم معاً." (٣٨)

فالكوميديا الإلهية عند دانتي ليست تجسيداً لنسق مُعرِّف للفلسفة ، بل هو النسق الأعلي الذي عَرِفه العالم عن كيفية تعامل السماء والحياة الروحية إضافة إلي التعامل مع الحضور الإلهي حيث إشتق دانتي تلك الصور من كونيات العالم، وتعامل الآلهة مع هذا العالم . ومن ثم جعل من الخطيئة ، والعقاب ، والجنة وغيرها صوراً لأحداث درامية ، " فالمعاني الداخلية الأساسية للقصيدة لا شأن لها بالعقاب الخارجي ولكنها تتعلق بالشخصية والقوانين التي تحدد دمارها أو كمالها المناسبين".(٣٩)

إن الحقيقة المجازية للكوميديا الإلهية ليست مجرد تحليل للطبيعة الأخلاقية للإنسان ولكنها إعلان عن نظام روحاني كُلي يُظهِر ذاته في التطور الأخلاقي للفرد ، وفوق كل ذلك ، في المجتمع الأقصي بخيريته الأبدية . يقول بيري :

" لقد أُضيف إلي مصادر النفس أي إلي ما هو إنساني صرف ، وعقلاني صرف ، وأخلاقي ، القوة المُستَقبِلة للنعيم الإلهي ، والقوة المستنيرة بالحقيقة الإلهية وكذلك القوه المتحولة عن طريق الحب الإلهي . فعن طريق عون الأعلي فإن رحلة الحياة تصير طريقاً إلي الإله".(٤٠)

إلا أنه طالما أن دانتي تحدث عن الخطأ الإنساني وهو خطأ يتحمله الانسان بل هو خطيئة بما أقترفته يداه، وأن النعيم والرضا هما منحة إلهية ، وإذا كان قد تحدث عن نعيم أرضي يؤسسه الإنسان بعقله وفهمه وأخلاقه فإن هذا كله ليس معناه أن النعيم الارضي متعارض مع النعيم السماوي ؛ فالإنسان في حاجة دائمة إلي العون والمدد الممنوحان له من الإله لينير عقله وحواسه ، وهذا لا يُوقف إرادته الحرة أو طريقة فهمه للأشياء.

إذن الدلالة المستنبطة عند بيري هي أن السماء قد مثلت لدانتي نظاماً روحانياً كلياً يستفيد منه الإنسان في حياته ، ولأن دانتي قال بالكلي المنظم فإنه بهذا المعني فيلسوف شاعر. ففي رأيه "أن أعظم سعادة هي التي يمكننا تحقيقها في حالتنا الأرضية . وهذه السعادة مقيدة بالطبع بفنائها".(٤١)

ودانتي في اتحاده شبه الصوفي مع الله يؤكد أن الإتحاد الحقيقي لا يمكن منحه إلا من خلال النعمة لروح تتقبلها بضخ الفضائل اللاهوتية التي تتجاوز أعمال الفضيلة الطبيعية والعقلانية .(٤٢)

ويكمل بيري وصفه لدانتي كفليسوف شاعر فيوضح أنه عرف الحقيقة التي بررت تضحياته ، وحقق بذلك انتصاراً عظيماً علي هزيمته وغربته ، وبالتإلي " فإن شعره أو تقديره للحياة هو تعبير عن تأمله العقلي الداخلي للعالم في وحدته وماهيته". (٤٣)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: إذا كانت تلك هي صفات شخصيات رأي بيري أنه يجمعها كلها تعبير الشاعر الفيلسوف أو الفيلسوف الشاعر ، فهل عقد بيري مقارنة بين ذلك الفيلسوف الشاعر والفيلسوف الصرف ؟

جـ – الفيلسوف الشاعر والفيلسوف الصرف :

والسؤال المطروح هنا الآن : ما الفارق بين هاتين الشخصيتين ؟ وهذا ما يجيب عنه بيري بأن ثمة فارق بينهما. فها هو يقول:

"إنه يتبقي لنا الآن مهمة مختصرة . الأ وهي بيان اختلاف الفيلسوف الشاعر عن الفيلسوف الصرف ؛ فالفيلسوف الشاعر هو ذلك الذي اتخذ له وجهة نظر فلسفية خاصة به ، وعبر بها عن نفسه في صورة شعر. أما وجهة النظر الفلسفية الصرفة فهي تلك التي يُنظر إلي العالم في كليته أو يُفهم انطلاقاً منها".(٤٤)

ولا يكتفي بيري بالحديث المجمل عن كلاً من الفيلسوف الشاعر، والفيلسوف الصرف . فها هو يعود فيُفَصِّل ما أجمل موضحاً "أن حكمة الفيلسوف هي معرفة كل جزء من خلال معرفة الكل "، ولذلك فهو يتساءل: هل الفيلسوف الشاعر الذي يتمتع بالحكمة ذاتها يختلف عن الفيلسوف الصرف في هذه الحالة ؟ ويجيب بيري بشكل مختصر ومباشر بأن الإختلاف بينهما "يقع في نمط الكلام".(٤٥)

أي أن الفيلسوف الشاعر ، وقد اقتنع بكلية العالم وأن كل شيء يجب أن يُفسر من خلال هذه الكلية ، فإن عليه أن يعبر عن ذلك ، ولأن التعبير في مثل هذه الحالة هو من خلال الصور الشعرية فإنه يعرض تلك الفكرة الفلسفية من خلال شعره وبشكل مباشر حيث يعبر شعره ، في هذه الحالة ، عن خبرته الذاتية بالحقيقة الكلية . يقول بيري عن طريقة الشاعر المميزه له:

"إنها تدعونا إلي أن نجرب معه الجميل والمتحرك في الطبيعة والحياة. فما ينبغي علي الفيلسوف الشاعر أن يعبر عنه أو ذلك الذي يهدف إلي إثارته في الآخرين هو تجربة أو خبرة مُقدَّرة من جانبه ... وبالتالي فإذا كان لهذا الشاعر أن يكون فليسوفاً(بملكاته) ومع ذلك يكون شاعراً أصيلاً أيضاً ؛ فإنه يجب عليه أن يجد حقيقته الكلية في خبرته المباشرة".(٤٦)

وعلي ذلك فإن كلتا الشخصيتين تقدمان تفسيراً للعالم إحداهما وهي شخصية الفيلسوف الشاعر وتعرض تفسيراً للعالم من خلال الصور المرئية visual . أما الأخري وهي شخصية الفيلسوف الصرف فيرتكز تفسيرها بالرجوع إلي الفكر.(٤٧) ومن ثم ليس معني ذلك أن الفيلسوف الشاعر يفتقر إلي الوعي ، وأن الفيلسوف الصرف يفتقر إلي الخيال ؛ فكلاهما يجمع بين الخيال والوعي وإن كانا يختلفان عن بعضهما البعض في أي من هذين العنصرين يعطيانه الأولوية : فالأولوية عند الفيلسوف الشاعر هي الخيال بينما هي الفكر عند الفيلسوف الصرف.

وعلي ذلك فإن الذي يراه الفيلسوف الشاعر يجب علي الفيلسوف أن يُعرِّفه ، وما يقدسه الفيلسوف الشاعر يجب علي الفيلسوف الصرف أن يتعقله ؛ فالفيلسوف عليه أن يبحث فيما وراء ما يطرحه الفيلسوف الشاعر من صور مرئية براقة . ففي حين يتعالي الفيلسوف الشاعر علي فكره من أجل خبرته فإن الفيلسوف خلافاً لذلك، يتعالي علي خبرتة أو تجربتة من أجل الفكرة ، وكما يري الفيلسوف الشاعر الكل ويري الكل في الجزء فإن الفيلسوف الصرف يُعرِّف كليهما ، ويجب عليه أن يفكر فيهما معا بشكل متسق ، ثم يعود فيُعرِّفهما مره أخري : إنه ذلك الجزء من الفلسفة الذي يقوم بجمع الأدلة ونقدها ، وتشكيل التصورات وتنسيقها ، وأخيراً تعريفها في مصطلحات محددة بعينها. يقول بيري:

"أنه عن طريق خيال الفيلسوف الشاعر، ومن خلال فن تعبيراته فإن الفكر ربما يمكن إدراكه حسياً، ومن ثم فميزة الفيلسوف الشاعر هو الخبرة المباشرة في حين أن ميزة الفيلسوف الصرف هي التفكير الذي يُكمله برؤية مباشرة".[٤٨]

وبالتالي فإن الفلسفة بهذا التوضيح تقع في منطقه وسط بين الحقيقة الصرفة بلا خيال ذاتي شخصي وهي الدين، وبين الخيال الذاتي والواعي المنطلق كما هو الحال في الفن بشكل عام والشعر بشكل خاص ، ومن ثم فإنها تتمتع بالقدرة علي التعبير عن تلك الحقيقة المباشرة الجميلة الواعية ولكن عن طريق العقل فتكون نقداً أقصي للإهتمامات الإنسانية. أي " الإهتمام كعملية واعية أو فعل أو حالة."[٤٩]

وبعد أن قارن بيري بين الفيلسوف الشاعر والفيلسوف الصرف بشكل عام فإنه يختتم بذكر نموذج لهذه العلاقة التي تجمع بين الفيلسوف الشاعر ، والفيلسوف الصرف ونعني بهما علاقة "جوته J.w.goethe (1832–1749) " كفليسوف شاعر، "واسبنوزا Spinoza . B "(1632–1677) كفليسوف صرف . ويستهل بيري الحديث عنهما بقوله :

" إن وحدة وجهة النظر التي ظهرت من خلال الإختلافات في المنهج ، والصورة ، والتي ربما وُجدت بين الشاعر والفيلسوف ، قد اتضحت بشكل متفرد في العلاقة بين جوته واسبنوزا . فما رآه جوته وشعر به أثبته اسبنوزا وعرّفه . فالجوهر الكلي والأبدي كان عند اسبنوزا كفليسوف نظرية مبرهنة . وبالنسبة لجوته كشاعر فهو (أي الجوهر) كان إدراكاً وعاطفة"[50] وبيري بذلك يكرر ما سبق أن ذكره وهو يتحدث عند دانتي في توضيحه لأوجه الإختلاف بين الفيلسوف الشاعر والفيلسوف الصرف.

ويُكمل بيري حديثه عن تلك الإختلافات بين هاتين الشخصيتين ولكن هذه المرة من خلال حديث جوته نفسه، ويختار بيري في هذا الصدد نص لجوته كان عبارة عن رسالة قد وجهها إلي الفيلسوف الألماني " ياكوبي F.H Jacobi" (١٧٣٤-١٨١٩)[*]. وفي هذه الرسالة يقول جوته متحدثاً عن الفلسفة ما نصه:

"عندما تخطط الفلسفة لذاتها من خلال تقسيماتها فإنه هو نفسه (أي جوته) لا يستطيع أن يسايرها، ولكن عندما تؤكد شعورنا الأصلي (الفلسفة عند جوته) فإنها تصبح بالنسبة لنا كما لو كنا شيئاً واحداً مع الطبيعة".[51] وهذا هو المرحب به عند جوته .

لقد كان جوته فليسوفاً بإلاضافة إلي كونه شاعراً ؛ لأنه كان متحمساً كفليسوف إلي الجوانب العقلية (الفكرية) التي تميز بها اسبنوزا ، فلقد تميز هذا الأخير بالنسق المنطقي المتماسك وفسر كل شيء انطلاقاً من ذلك، حتي وإن كان ذلك مرتبطاً بالعاطفة والحس والقلب عند جوته لأن كل ذلك، في نظره، يمثل سلامة الكلي المتصالح رغم إحتوائه علي المتناقضات. وبالتالي فإن جوته يتفق مع اسبنوزا كفليسوف ، بل ويري أن جانبه الشعري تتمة لعقلانية ذلك الفيلسوف ، وبالأخص عقلانيته في مذهبه عن وحدة الوجود [*]. وهذا ما اتضح

---

[*] فريديرش هاينرش ياكوبي : هو فليسوف الماني مؤثر ، وشخصية أدبية ، وفرد بارزاً أجتماعيًا . يشتهر بتعميم العدمية وهو مصطلح صاغه أوبرايت عام ١٧٨٧ ، وترويجها علي أنها الخطأ الرئيسي للفكر التنويري . أنظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/ فريديرش – ياكوبي.

[*] وحده الوجود (مذهب) : Pantheism :

في خطاب جوته، السالف الذكر ، الذي عبر فيه عن تقديره لاسبنوزا بإعتباره مكملاً لطبيعته هو (أي لطبيعة جوته) وعن ذلك يُكمل جوته قائلاً :

"إن سلامة الكلي المتصالح يتعارض مع كل مسعاي الثائر؛ ومنهجه العقلاني متناقض مع نظيره عندي، أي طريقتي الشعرية في الشعور والتعبير عن نفسي؛ حتي أن الإنتظام الصارم لإجراءه (اسبنوزا) المنطقي ... جعلني أكثر تعاطفاً معه كدارس، وأكثر تعاطفاً مع تماسكه. فالعقل ، والقلب ، والفهم ، والحس ، يتعادلان (عنده) في إنجذاب إنتخابي لا مفر منه، وذلك كله أسفر، في الوقت ذاته، عن إتحاد عميق بين الأفراد من أنماط مختلفة".[52]

وكأن بيري أراد أن يختم مقالته تلك بطريقة تختلف عن سياق حديثه عن الأمثلة التي إنتقاها سواء من الشعر أو من الفلسفة ولكن هذه المرة إنطلاقاً من المركّب ذاته وهو (الفيلسوف الشاعر) وتفكيكه إلي عنصري جدله أي (

الهنود هم أول شعب ظهر فيه هذا المذهب ثابر بهم أقطاب الطبقه الاولي في الفلسفه إليونانيه . فأثر كل منهم ماده جعل منها الأصل الذي تتكون منه الأشياء بإجتماع بعضهم البعض .

وفي الفلسفة العربية ظهرهذا المذهب عند الحلاج وأبن عربي . يقول ابن عربي " ما وصفناه بوصف إلا كنا نحن ذلك الوصف ، فوجودنا وجوده ... "

وفي العصر الحديث من أشهر القائلين جيوردانو ، برونو ، سينوزا واربعه المان هم ، فشته ، كوشلنج ، هيجل ، وشوبنهور، وهذا المذهب علي نحوين :

(أ) أن يكون الله وحده هو الوجود الحق ، والعالم بمجموع المظاهر التي تعلن عن ذات الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته . هذا النحو تصوره أحادية اسبنوزا .

(ب) وحده الوجود الماديه ويدعو إليه ديدرو . إذ يزعم ان الماده حيه بذاتها . أنظر: (مراد وهبه : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثه ، القاهره ٢٠٠٧ صص ٦٨٢-٦٨١) .

الفيلسوف ، و الشاعر) ومن ثم بيان أوجه الإتفاق والإختلاف بينهما ثم إعادة الجمع بينهما مرة أخري وكأنه أدرك أن ذكره للأمثلة علي وجود من يجمع بين الفلسفة والشعر لم يكن كافياً لتوضيح هذا الجمع ؛ فأراد توضيح ذلك ولكن هذه المرة كان بالإستعانة باسبنوزا (كفليسوف) ، وجوته (كشاعر) بوصفهما طرفين لمركّب (الفيلسوف الشاعر).

وأخيراً يعود بيري لينهي حديثه في هذا الإطار بشكل عام ويبين مدي إشتمال الشعر والدين علي جوانب فلسفية تمكن الفلسفة من التحليق بعيداً ، فلا تُذكر الفلسفة في الدين أو الشعر بشكل دنيء أو مفترض ؛ بل هي جزء أصيل فيها. يقول بيري ملخصاً تلك العلاقة:

"إنه يظهر إذن ، أن بعض الشعراء شاركوا الفلاسفة كلهم في وجهة النظر التي كان أفقها هو حدود كل العالم. فالشعر ليس فلسفياً دائماً بالأساس ، ولكن ربما يكون ذلك ، فعندما يُعيد الخيال الشعري الفلسفة إلي المباشرة ، فإن الخبرة الإنسانية تصل إلي ذروتها بإستثناء الدين فقط الذي عن طريقه يُري الإله ويُطاع . فليس هناك جزء للفلسفة في الشعر أو الدين دنيء أو مفترض ، لأن ما هو إنساني يتحدث قائلاً: "أن مدي قدرة البومة علي حساب مسافة أجنحتها علي الطيران هي الوسيلة الوحيدة الأكيدة والآمنة لوصولها إلي مكان أعلي."[53]

ثانياً: رؤية نقدية :-

بعد أن طوّف بنا بيري بين الشاعر الفيلسوف ، والفيلسوف الشاعر وأخيراً بين الفيلسوف الشاعر، والفيلسوف الصرف ، فإن لنا وقفة عند ما قدمه هذا الفيلسوف الأمريكي البرجماتي ؛ فمن الواضح أنه أراد أن يعرض لطبيعة العلاقة بين الفلسفة والشعر بوصفهما مجالين يمثلان ، في نظره ، نوعين مختلفين من الإهتمامات الإنسانية ولهذا استعان بأمثلة من واقع الفلسفة والشعر كي يوضح

وجهة نظره ، إلا إنه من الملاحظ أنه في عرضه لما هو حسي وشعوري وخيالي (الشعر) وما هو عقلي تحليلي نقدي (الفلسفة) قد بيّن ما يتميز به كلا الجانبين بشكل أتاح له إثبات إمكانية الجمع بينهما من خلال شخصيات واقعية لهذا كان تدرجه في الحديث أولاً عن من تغلب عليه الجوانب الشعرية العاطفية والحسية ، ويليها حديثه عن الجوانب الفلسفية العقلية، ثم حديثه في النهاية عن كيفية الجمع بين هذين النشاطين.

أضف إلي ذلك أن سعيه لإنتقاء أمثلة من أديبات الشعر والفلسفة هو أمر محمود لأنه أراد أن يثبت مطابقة كلامه مع الواقع ، وفضلاً عن ذلك فإنه يُحسب له إدراكه للطبيعة الجدلية المتعارضة لكل من الفلسفة والشعر، وإمكانية وصولهما، رغم ذلك، إلي مركب فلسفي أعلي يجمع بينهما في صورة نقدية تمثل الإهتمامات الإنسانية في أعلي صورها .

والسؤال الآن : لماذا إهتم بيري بدراسة الصلة بين الفلسفة والشعر؟ هل كانت المسألة فقط مجرد إلمام منه بجانبين متعارضين ، أم كانت تسجيلاً لمعلومات تاريخية عن بعض من جمع بينهما ، أم أن المسألة أعمق من ذلك بكثير؟

ويتبين لنا مما قاله بيري أن المسألة أعمق من مجرد التأكيد علي الصلة بين الفلسفة والشعر ، فالأصعب هو كيف يكون ذلك ؟ إن هذا ماركز عليه بيري خصوصاً مع رؤيته أن الفلسفة تتحدث عن الكل المتحد رغم ما ينطوي عليه من إختلافات . وتلك هي فكرة الإنسجام التي يدور حولها مقاله .

فبيري يري أن الإنسجام يكمن في التناقض والأختلاف ، وأن به تتحقق السعادة الكلية (الخير العام) ؛ فالقيمة الاخلاقية تكمن في التكامل الشامل

للمصالح (السعادة المتناغمه)[54]. إلا أن بيري لم يتوقف عند هذا الحد ، فوفقاً لفلسفته فإن الإنسجام والسعادة لا يتواجدان بشكل كلي ، ولا يستطيع الإنسان أن يتحرر من إحساس بالسلبية طالما أن المستقبل مجهول بالنسبة له. وبالتالي "لا يوجد شخص سعيد سعادة كلية... فمصالحه البعيدة تؤرقه ، حتي أنه لا يستطيع أن يتحرر من بعض إحساس بالسلبية".[55]

غير أنه لما كان الإنسجام لا يتأتي الإ من المتناقضات وهما هنا الشعر والفلسفة وصولاً إلي نقطة الإنسجام المتحققة (المركب) منهما وهي الإهتمامات الإنسانية القصوي تلك التي تستدعي النقد الأقصي والذي يدل علي السعادة المتناغمة للكل الشامل فإنه يشير أيضاً إلي " دلائل المستقبل الميمونة"[56] التي تجعل الإنسان سعيداً .

وعلي ذلك فإن الشاعر الفيلسوف وفقاً لما وجدناه عند بيري هو الذي يعتمد علي الحواس و العواطف و المبَاشرة وبالتإلي يكون في دائرة الحاضر فقط ؛ فشعره وليد اللحظة – كما اتضح في حديثه عن وايتمان من إعتماده علي وعيه العقلي بالحواس فقط . وبذلك لم يكن لديه تنبؤ أو أية دلائل للمستقبل فظل محصوراً داخل دائرة حاضره ولم يتخط أرضه بعد مثل شكسبير الذي لم يكن له وجهة نظر هو أيضاً . فكان أن أصبحا هما الإثنين شعراء فلاسفة ولم يكونا فلاسفة شعراء ولم يحوزا بذلك علي الإهتمام الإنساني الأعلي وهو النقد الأقصي .

وعلي النقيض من ذلك يتحدث بيري عن الفيلسوف الشاعر الذي يعتمد علي عقله فحسب ويبحث فيما وراء ما هو مباشر وخلف الحواس ووعيه بتلك العواطف فيقفز من دائرة الحاضر إلي دائرة المستقبل فكان أن إندمجت روحه

في عالم سماوي وقد كان مثاله عند بيري هو عمر الخيام ، ودانتي الذي دخل هذا الأخير دائرة الدلائل المستقبلية عن طريق ما يراه الإله له ثم يعود إلي الارض (الحاضر) ليري منها المستقبل (السماء) . وهكذا بصورة تبادلية مما جعلهما في النهاية أي الخيام ودانتي فلاسفه شعراء .

وهكذا من خلال ما سبق يمكننا أن نتوصل إلي أن الأرض هي الحاضر ويمثله (الشعر) الذي هو الإهتمام "بكل ما ينتمي للحياة الوجدانية الحركية من غريزة ورغبة وشعور"[57] ويمثل هذا الطرف الأول من المركب الجدلي. أما السماء فهي المستقبل وتمثله (الفلسفة) وهي الدائرة البعيدة التي "تؤرقه "[58] نظراً لأنه يصعب عليه معرفتها جيداً مما يمثل الطرف الثاني من المركب الجدلي .

ويأتي دور الخيال الواعي القائم علي الخبرة الإنسانية ، والذي يشكل حلقة الوصل بين العالم الأرضي (الشعر– الحاضر) وبين العالم السماوي (الفلسفه – المستقبل) فيتحقق الإنسجام الذي هو متحقق لدي الفيلسوف الشاعر " فسعادة الشخص تُنسب ككل ... إذا أستُحضِرت إلي الوعي عن طريق الخيال والتأمل"[59] الذي هو الخبرة بالكل، و الذي هو العقل المؤلِّف ، الذي هو كذلك النقد الأقصي والمركب الجامع بينهما ، فالشاعر يتحول بالخيال الواعي فقط إلي فليسوف . والفيلسوف يتحول هو أيضا بالخيال الواعي إلي شاعر ، وتلك حالة عبرت عند بيري عنهما بشخصيتين منفصلتين ليستا بشاعر فيلسوف معا ، ولا بفيلسوف شاعر معا وهما اسبنوزا وجوته . فقد رأي في كل واحد منهما أنه يُكمل الآخر. وليس كل واحد منهما في الآخر . أضف إلي ذلك أنهما أفتقدا إلي العامل الأهم وهو العامل الروحي الذي يجعلهما فلاسفة شعراء . فإذا كان جوته

مثّل أحد قطبي الجدل وهو الشعر، فإن اسبنوزا مثّل القطب الجدلي المناقض له وهو الفلسفة إلا أنه لم يكن هناك مركب ممتزج منهما معاً في صورة واحدة وهو الفيلسوف الشاعر ، أو الشاعر الفيلسوف . وبالتالي لم يحقق جوته وحده النقد الأقصي (مركب الإنسجام) وكذلك كان الحال بالنسبة لاسبنوزا الذي لم يحققه هو الاخر .

وأخيراً ومن منطلق أن الفلسفة – كما يري بيري – تقع في منطقه وسط بين الدين الذي يتحدث عن حقيقة سابقة علي التفكير أو سابقة علي التصورات العقلية وبين الشعر الذي يعبر عن الحقيقة بصورة حسية . فالفلسفه تعبر عن تلك الحقيقة المباشرة الجميلة ولكن عن طريق العقل . إذن الفلسفة بالتالي تجمع بين الدين والشعر كما ظهر ذلك جلياً في نظرته لكل من الخيام ودانتي وهذا مما يدفع إلي التساؤل هنا عن وضع الدين في هذه المعادلة: فهل اكتفي بيري بالدين كطرف في معادلة تجمعه هو والشعر نتيجة لوجود شخصيات تجمع في واقعها بين هذين المجالين، أم أنه بإعتباره نشاطاً روحياً كان بشكل أو بآخر نوع من التسامي علي تلك المعادله ذاتها؟

والاجابة عن هذا السؤال يبدو أنها ليست واضحة عند بيري نظراً لأنه استغرق في الحديث عن معادلات تجمع بين طرفي الشعر والفلسفة في علاقات تبادلية فحسب بحيث يبدأ تارة من الشعر وتارة أخري من الفلسفة . فكان حُكمه علي الشخصيات التي تحدث عنها كأمثلة لهذه العلاقات التبادلية مثيراً في نظرنا لتساؤلات عديدة لعل أبرزها التساؤل عن السبب الذي من أجله صنف بيري كلاً من الخيام ودانتي بأنهما فلاسفة شعراء في حين أنه يمكن الحديث عنهما أيضاً

بإعتبارهما شعراء فلاسفة . بل لعل هذا الوصف الأخير هو المعروف عنهما . وكذلك الحال بالنسبة لشكسبير ووايتمان أيضاً.

أضف إلي ذلك أن بيري رفض أن يُدخل جوته في زمرة الفلاسفة واكتفي بالمعروف عنه كشاعر وهذا ما فعله بالنسبة لاسبنوزا أيضاً حين تحدث عنه كفليسوف صرف وهذا معناه أنه أغفل جانباً مهماً في معادلة الصلة بين هاتين الشخصيتين ؛ ألا وهي أن جوته كان يُعد فليسوفاً في بعض الأوساط أيضاً . وهذا معناه أنه حين أراد أن يقيم حدوداً فاصلة بين شخصيتين معروفتين جانبه التوفيق في تحديد هويتهما بشكل دقيق وكأنه بذلك أغفل دون أن يدري جانباً ثالثاً خفياً في معادلة بين جانبين واضحين.

ولعل هذا يوضح أن بيري إعتمد تارة علي ما هو معروف عن الشخصيات التي استخدمها ، وتارة أخري استنتاجه هو عنها ، إلا أن ذلك لا يقلل بأي حال من الأحوال بمغامرته الفكرية لعرض الصلة بين مجالين تتضح فيهما نقاط الإختلاف أكثر مما تتضح فيهما نقاط الإتفاق .

حقاً إنه أراد من الحديث عن جدل الإختلاف بين الفلسفة والشعر أن يصل إلي مركب منسجم يجمع بينهما في أرض الواقع –كما هو الحال عند هيجل مع بعض الاختلاف – طالما أن الإنسجام لا يتحقق إلا في إهتمامات البشر الكلية. وطالما أن الوسيلة الوحيدة للوقوف عليه هو النقد ، إلا أنه غرق في تفاصيل كثيرة تاه بموجبها مفهومه عن الإنسجام بين المتعارض المنشود .

الهـوامـش

1-Ralph Barton Perry : Poetry and philosophy , the philosophy review , Vol .11,No.,6(Nov.,1902),p.,576.

2- Ibid.,p.576.

3- Ibid., 576 . and see also : Perry,Ralph Barton: Atheory of Value Defended , the Journal of Philosophy , Aug.13 ,1931,Vol.28,No.17 (Aug.,13,1931),pp.,449-450.

4- Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit.,p.577.

5-Knight ,Frank H. : Professor R.B.Perry On Value , Journal of Political Economy , Apr. , 1955 , Vol. 63 , No. 2 , (Apr. ,1955). , p. 163 . and see also , Colkins , Mary Whiton : Biological or Psychological ? : A Comment on Perry's Doctrine of Interest and Value , The Journal of Philosophy , Oct.13 , 1927 , Vol. 24 , No. 21 , (Oct. 13 ,1927) , p. 577 .

6- Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit ,p.578.

7- George Santayana : Interpretation of Poetry and Religion , Newyourk , Charles Scribner's sons,1900 ,pp.,176-177.

8-Perry: Poetry and Philosophy , Op.cit. ,P.,578.

9- Ibid.,p.576.

10- Ibid.,p.,577.

11- Ibid.,p.,578.

12- أفلاطون: الجمهورية ، ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ، صـ ٥٣٤ .

13- المرجع السابق ، الصفحه نفسها .

14 – Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit. ,p.575.

15- Ibid.,p.,578 .

16- Ibid.,p.,579 .

17- Kher Inder Nath M.A. (Panjab) : Walt Whitman and the Integral Experience , McMaster university , August , 1966 , p.,2.

18 – Ibid.,p., 2 .

19 - Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit. ,p.579 .

20 – seeTography.www.Humanism.org.Uk./Humanism/The humanist-tradetion / Renaissance/Shakespeare.12 Sep2020.

21 - Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit. ,P.580 .
22 – Ibid., p.,580 .
23 – Ibid.,p.,579 .
24 – Ibid.,p.,580 .
25 – Ibid.,p.,579 .
26 - Ibid.,p.,582 .
27 – Ibid.,p.,582 .
28- Perry, Ralph Barton : Value As Election and Satisfaction , International Journal of Ethics , Jul. , 1931, Vol. 41 , No. 4 , (Jul. , 1931) , p. 441 .
29 – Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit.,p.583 .
30- بشري زكاغ : فيما بين الشعر والفلسفة والتصوف من إتصال (رباعيات الخيام نموذجياً) ، بحث عام / قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث ، الرباط – اكدال. المملكه المغربية ، ٢٣ أغسطس ٢٠١٧ . صـ١٨ . للمزيد أنظر الرابط التإلي : فيما بين الشعر والفلسفه والاتصوف –من – أتصال – رباعيات – الخيام – نموذجا.13Mar2021 www.mominoun.com/artical/5317
31 - Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit. ,p.,548 .
٣٢- صلاح قنصوة : نظرية القيمة في الفكر المعاصرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص ٧٦.
33- Perry : Value As Election and Satisfaction , Op.cit., p. 442 .
34 – Mark Ja shau J. : Ancient History Encyclopedia ,27Mai,2020,p.1.
وللمزيد يمكن الدخول علي الرابط التالي:
www.ancient.eu/omar-khayyam.12sep.2020
35 - Ibid,p.,2 ff.
36 - Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit. ,p.585 .
37 – Ibid,p.,586 .
38 – Ibid,p.,588 .
39 - Ibid,p.,587 .
40 – Ibid.,p.,587 .

41 - Winthrop Wetherbee and Jason Aleksander : Dante Alighieri , the Stanford Encyclopedia of Philosophy (fall
2018 Edition), Edward N.Zalta (ed).,URl .p.,1 ff

وللمزيد يمكن الدخول علي الرابط التالي: : 20Nov2020.دانتي

https://plato.stanford.edu/archives/fall2018/entries/art-definition

42 – Ibid.,p.,1ff .

43 - Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit. ,p.589 .

44 – Ibid.,p.,589 .

45 – Ibid.,p.,589 .

46 – Ibid.,p.,589 .

47 – Ibid.,p.,589 .and see also: Perry, Ralph Barton : Vaiue as Election and Satisfacation , Op.cit., p.430ff .

48 – Ibid,p.,590 .

49- Colkins : Biological or Psychological ? : A Comment on Perry's Doctrine of Interest and Value , Op.cit., p. 578 .

50 – Perry : Poetry and Philosophy , Op.cit.,p.591.

51 – Ibid.,p.,591.

52 – Ibid.,p.,591 .

53 – Ibid.,p.,591 .

54 – رالف بارتون بيري : آفاق القيمة (دراسة نقدية للحضارة الإنسانية) ، ترجمة عبد المحسن عاطف سلام ، مراجعة محمد علي أبو ريان ، تقديم زكي نجيب محمود ، المركز القومي للترجمة ، العدد ١٧٧٤ ، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص ص 148– 149 .

55 – المرجع السابق ، ص 147 .

56 – المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

57 – www.encyclopedia.com/people/phiosophy-and-religion/philosophy-biographies/Ralph-Barton-Perry.20 Jan 2021 .

58 – رالف بارتون بيري :آفاق القيمة ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

59 – المرجع السابق ، الصفحه نفسها .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :-

١ - رالف بارتون بيري : آفاق القيمة (دراسة نقدية للحضارة الإنسانية) ، ترجمة عبد المحسن عاطف سلام ، مراجعة محمد علي أبو ريان ، تقديم زكي نجيب محمود ، المركز القومي للترجمة ، العدد ١٧٧٤ ، القاهرة ، ٢٠١١ .

ثانياً : المصادر الاجنبية :-

1 - Perry,Ralph Barton: Atheory of Value Defended , the Journal of Philosophy , Aug.13 ,1931,Vol.28,No.17 (Aug.,13,1931)

2 - Ralph Barton Perry : Poetry and philosophy , the philosophy review , Vol .11,No.,6(Nov.,1902) .

3 - Perry, Ralph Barton : Value As Election and Satisfaction , International Journal of Ethics , Jul. , 1931, Vol. 41 , No. 4 , (Jul. , 1931) .

ثالثاً : المراجع الانجليزية :-

1- Colkins , Mary Whiton : Biological or Psychological ? : A Comment on Perry's Doctrine of Interest and Value , The Journal of Philosophy , Oct.13 , 1927 , Vol. 24 , No. 21 , (Oct. 13 ,1927)

2 - George Santayana : Interpretation of Poetry and Religion , Newyourk , Charles Scribner's sons,1900.

3 - Kher Inder Nath M.A. (Panjab) : Walt Whitman and the Integral Experience , McMaster university , August , 1966 .

4 – Knight ,Frank H. : Professor R.B.Perry On Value , Journal of Political Economy , Apr. , 1955 , Vol. 63 , No. 2 , (Apr. ,1955).

5- Mark Ja shau J.:Ancient Histort Encyclopedia,27Mai,2020,p.1.

يمكن الدخول علي الرابط التإلي وللمزيد: www.ancient.eu/omar-khayyam.12sep.2020

6 - Winthrop Wetherbee and Jason Aleksander : Dante Alighieri , the Stanford Encyclopedia of Philosophy (fall 2018 Edition), Edward N.Zalta (ed).,URl .p.,1 ff

وللمزيد يمكن الدخول علي الرابط التالي 20Nov2020.دانتي

https://plato.stanford.edu/archives/fall2018/entries/art-definition

رابعاً: المراجع العربية :-

١ – أفلاطون: الجمهورية ، ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

٢ – بشري زكاغ : فيما بين الشعر والفلسفة والتصوف من إتصال (رباعيات الخيام نموذجياً) ، بحث عام / قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث ، الرباط – اكدال. المملكه المغربية ، ٢٣ أغسطس ٢٠١٧ . صـ١٨ . للمزيد أنظر الرابط التإلي : فيما بين الشعر والفلسفه والاتصوف –من – أتصال – رباعيات – الخيام – نموذجا.13Mar2021 www.mominoun.com/artical/5317

٣ – صلاح قنصوة : نظرية القيمة في الفكر المعاصرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١ .

خامساً : الموسوعات والمواقع الالكترونية :-

1-www.Humanism.org.Uk./Humanism/The humanist-tradetion / Renaissance/Shakespeare.12 Sep2020.

2-www.encyclopedia.com/people/phiosophy-and-religion /philosophy-biographies/Ralph-Barton-Perry.20 Jan 2021 .

Abstract

Philosophy is concerned with multiple aspects of life in general, but its mission is highlighted in criticism in particular, whether through the viewpoint of its owner, or through the presentation of other views that express the opinion of its owner from a certain angle, whether they are supportive or critical. The criticism that will be covered here is not an epistemological critique, that is, a critique of man's ability to know the truth, and it is not aesthetic criticism that evaluates artistic works or other forms of criticism from different paths of criticism. They stand on one of the most important human concerns, which is "poetry", as it provides a distinctive picture for him of the world and reality.

We have chosen in this context the opinion of a philosopher who cared about value, despite his scientific pragmatism, and he is Ralph Barton Perry, so he adds to these interests a third concern, which is the relationship between poetry and philosophy in the form of a dialectical link between the work of the philosopher and the work of the poet from Perry's point of view.

key words : Poetry , Philosophy , the philosopher-poet , poet-philosopher , the philosopher poet and the pure philosopher , human interests ,ultimate critique ,harmony .